ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

المقدم

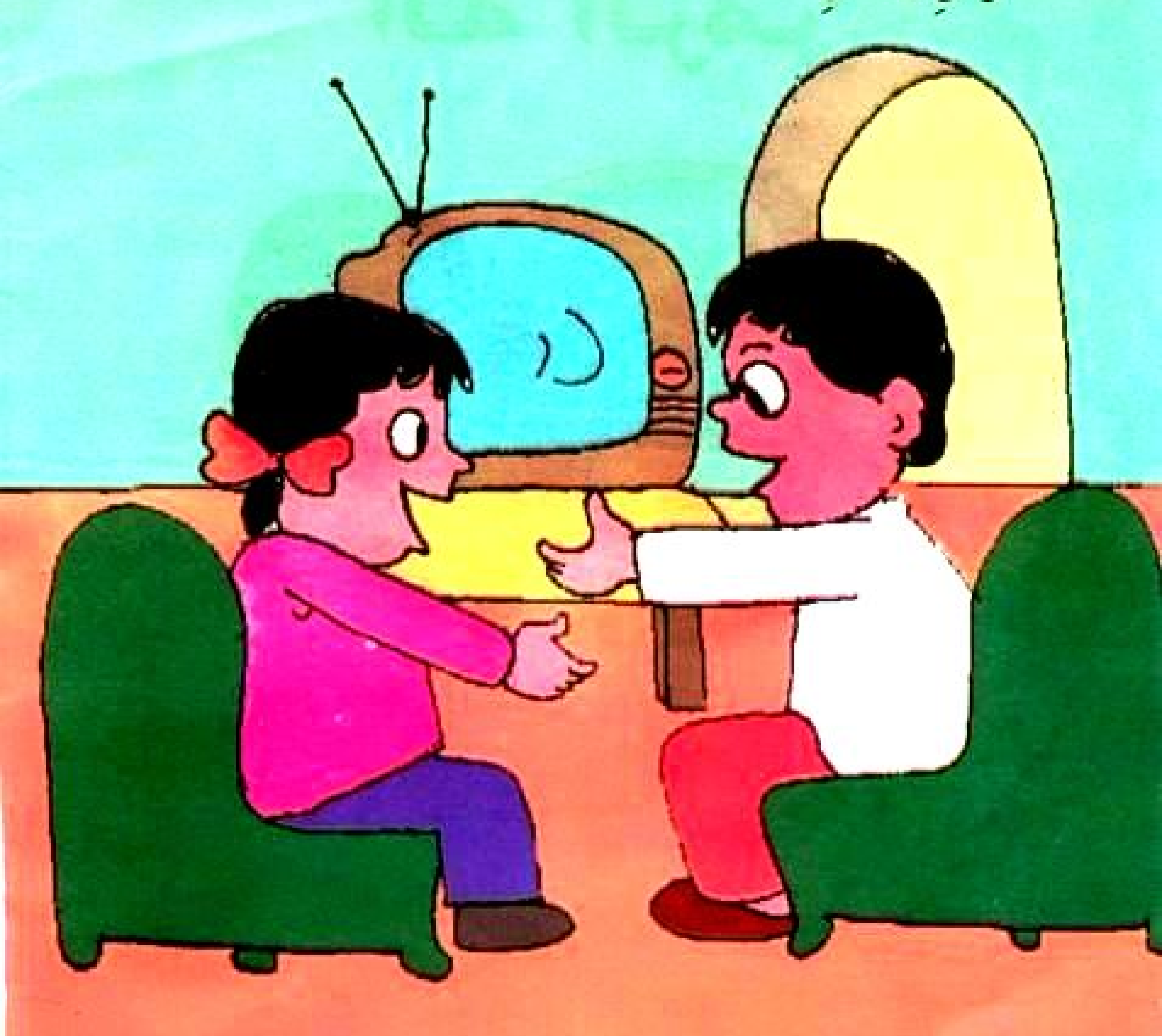
آلة الزمن



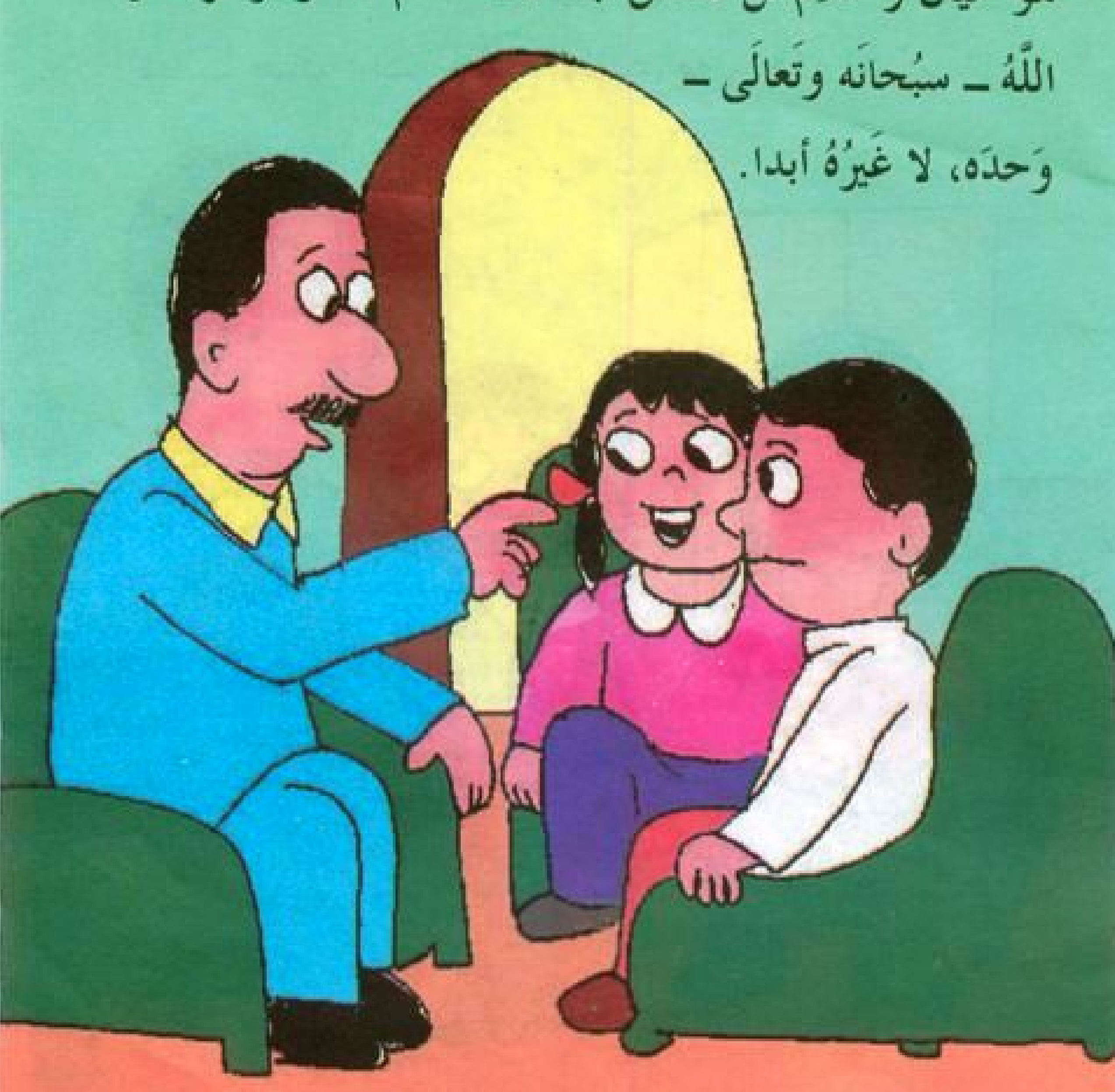
بقلم ورسوم : شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

(١) جلسَ أحمدُ يُناقِشُ شَقيقتَه فى الفيلمِ الّذى شاهَداه عن الخَيالِ العلمِيّ ، والّذى يَحكى أبْطالُهُ عَن امْتلاكِهم عَجلَةَ الزّمن ، الّتى اخْترعوها ، ومن خِلالِها يَتقدّمُ الزّمنُ بِهم أو يَتأخّر . . وكانَ النّقاشُ حاميًا بين أحمدَ وحَنان ، حولَ تقدُّمِ الزّمَنِ وتأخُرِه .



(٢) سمِعَ الوالِدُ النّقاش ، فاقْتَربَ منهُما وسَألَهُما عن سبَبِ اختِلافِهما ، فأخبرَاه وكلٌّ مِنهُما يَتسابَقُ لِشَرحِ رُؤيَتِه ، فأشارَ لهُما بالهُدوء ، ثمَّ جلسَ بَينَهُما وقال : إنَّ ما رَأيتُماه هُو خَيالٌ وأحْلامٌ لن تَتحَقَّقَ أبدا لأنَّ المُقدِّمَ . . والمُؤخِّرَ هو اللّهُ ـ سبُحانَه وتَعالَى ـ وَحدَه، لا غَيرُهُ أبدا.

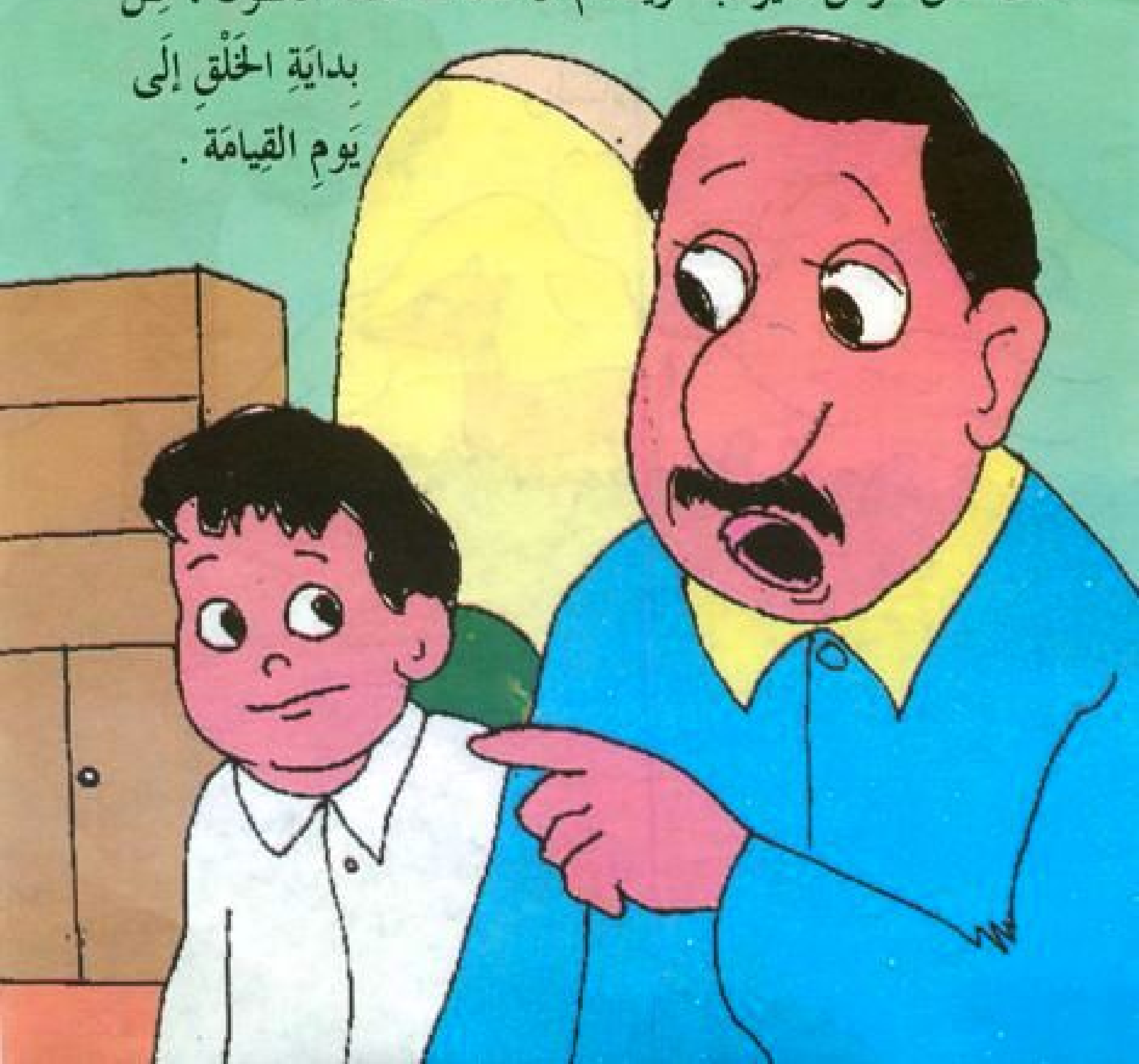


(٣) إنَّ أفلامَ الغَربِ يا أبْنائى ، تُصوِّرُ أحْيانًا أشْياءَ لا وُجودَ لها إلاَّ فى خَيالِهِم وأحْلامِهِم ، ولا يَصِلُ إنْسانٌ من عِلمٍ إلَيها إلاَّ بِمشيئَتِه سُبحانَه وتَعالَى . . والمُقدِّمُ والمُؤَخِّرُ اسْمان من أسماءِ اللّهِ الحُسنَى ، لَن يُطلَقا على غَيرِه أبَدا . .

فقالَتْ حَنان : اشرَحْ لَنا يا والِدى مَعنَى هَذه الأسْماء .



(٤) قالَ الوالِد : سأشْرِحُ لكما الآنَ اسمَ المُقدِّم ، وغداً إن شاء اللّه اسمَ المُؤَخر . . ومن مَعانى اسْمِ المُقدِّم ، أنَّ الحَقَّ سبُحانَه وتَعالَى ، عَندهَ مَفاتيحُ الزّمَن ، فالزَّمنُ لا يَملِكُه الإنْسان . وإنَّما الزَّمنُ هوَ الّذى يَملِكُ الإنْسان . ولذلكَ لا يَستَطيعُ أىُّ فَردٍ مِنّا أنْ يوقِفَ الزَّمَنَ من حَياتِه ، بمعْنى أنْ يَبقَى شابًا أوْ طِفْلاً لا يَكبَرُ طِوالَ حَياتِه ، واللّهُ سبُحانَه وتَعالَى الّذى خَلقَ الزَّمَن ، يُرتّبُ ويُقدِّمُ الأحْداثَ لهذا الكَوْن ، مِن بِدايَةِ الخَلْقِ إلَى يَومِ القِيامَة .

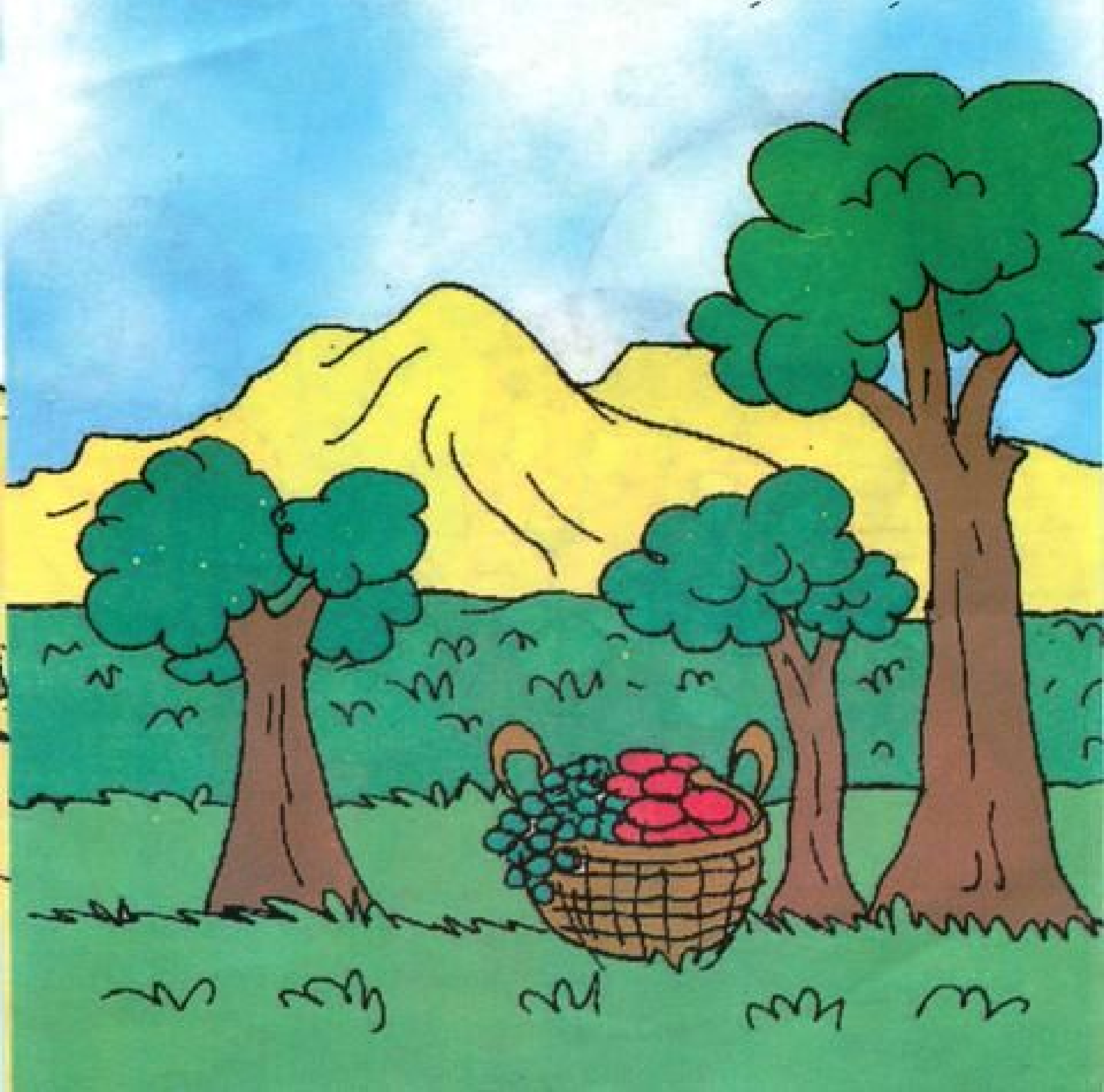


(٥) ومن معَانى المُقدِّم ، أنَّ الحقَّ سُبحانَه وتَعالَى اخْتارَ الكونَ قبلَ أن يَخلُقَ الإنْسان ، ليَأتِىَ الإنسانُ ويَجدَ كَوْنًا مُعدًّا ، فيه كلُّ ما يَحفَظُ حَياتَه ، ومَلأهُ اللّهُ بِالنِّعَم وجَعلَ الإنسانَ سَيِّدًا له ، واللّهُ سُبحانَه قدَّمَ وأخَّرَ فى أنْبيائه ، فاختارَ آدمَ أبًا لِلبَشَر ، واخْتارَ نوحًا أوَّلَ الأنْبِياء ، ومُحَمَّدا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خاتَمَ الأنْبِياءِ والمُرسَلين .

(٦) سألَ الوالِدُ أحْمدَ وحَنان ، قال : هل سَمعْتُما عن قصَّةِ أهْلِ الكَهْف ؟ أو عَن قصَّةِ عُزَيْر ؟ فنظرَ كلٌّ منهُما إلَى الآخَر ، ثمَّ هزَّا رأسَيْهِما بالنَّفى . فقال : سَأحكى لَكما الآنَ إحداهُما . فقالا : لَيتكَ يا والِدى تَحكى لنا عن عُزَيْر ، فيبْدو أنَّها قِصَّةٌ مُشوِّقَة .



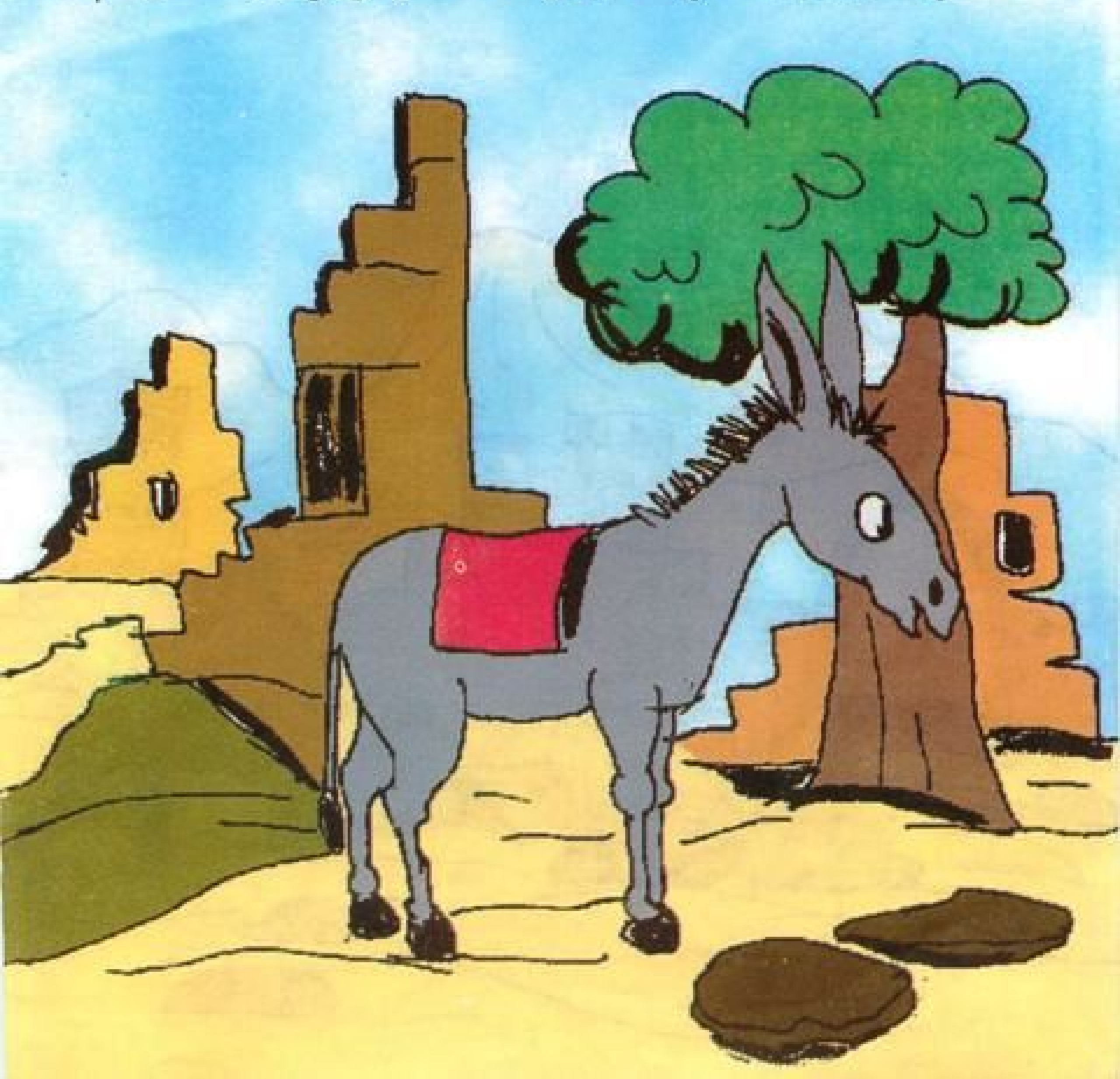
(٧) خرجَ العَبدُ الصّالحُ عُزَيْر - عليه السَّلام - من قَريَتِه يَومًا راكبًا حِمارَه ، في طَريقهِ إلَى حَديقَتِه الّتى تبعُدُ عن القَرْيَةِ قَليلا . . وهُناكَ اكْتَشفَ أنَّ أشْجارَها عَطشى ، وأرضَها مُشَقَّقَةٌ وجافَّة . . فرَواها بالماء ، ثمَّ قطعَ بعضَ الثّمارِ منَ التّينِ والعِنَب ، ووضَعَها فى سَلَّة .



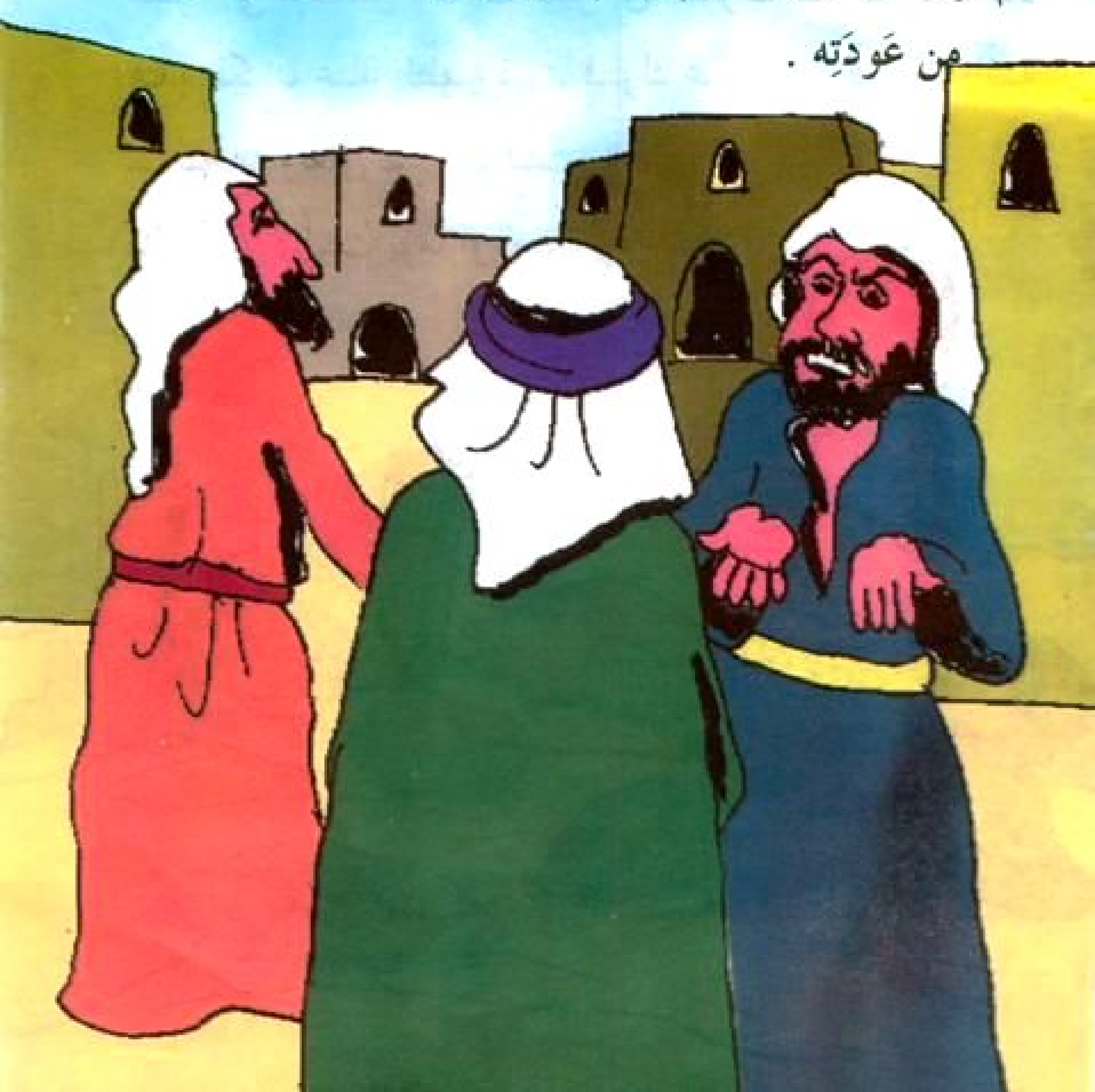
(٨) وفى أثْناء عَوْدَتِه ، كان الحَرُّ شَديدا ، فتوَقَّفَ عندَ شَجرةٍ تُطلُّ على مَقبَرَةٍ مَهْجورَة ، فترجَّلَ لِيستَريحَ قَليلاً ويُريحَ الحِمار . . نظرَ عُزَيْرٌ إلى المَقابرِ المُخرَّبَة ، وكانتْ لقَريَةٍ قَديمة . . فجلَس يَتَناولُ طَعامَه مِن الخُبزِ والعِنَب ، وهو يَتأمَّلُ المنظَرَ الَّذى حَوْلَه .



(٩) كانَ الصَّمتُ يُعَشِّشُ فى المكان ، وهو يَرَى عِظامَ الموْتَى مُتناثِرةً هُنا وهُناك ، فسألَ نَفسَه « أنَّى يُحيى هذه اللَّهُ بعدَ موتِها » تساءَلَ عُزَيْرٌ كَيف يُحْيى اللَّهُ هَذهِ العِظامَ بَعدَ موتِها ؟ لم يكنْ عُزَيْرٌ يَشُكُّ أنَّ اللَّهَ سَيُحْيى الموْتَى يومَ القِيامَة . . إنَّما قالَها تعجُّبًا ودَهْشَة ، وهو يَرى تِلكَ العِظام .



(١٠) لم يكَدْ عُزَيْرٌ يَقولُ ذلك ، حتّى أماتَهُ اللّهُ في مَكانِه ، وأماتَ حِمارَه أيضا بجوارِه وفي مَكانِه . . فلمّا استَبْطأَ أهْلُ القَريَةِ عُزَيْرا ، خَرجوا يَبْحَثونَ عَنه في حَديقَتِه ، فَلَم يَجدوه ، ولم يَعثُروا عَليه . وكانوا يَمرّونَ بطَريقِ المَقابرِ فلم يَرَوه . . ومرَّتْ أيّامٌ وأيّامٌ حتّى يَئِسَ أهْلُهُ وأَهْلُ قَريَتِه من عَودَتِه .



(١١) ومرَّتِ السَّنوات ، ونَسِيَ النَّاسُ عُزَيْرا ، حتَّى مرَّتْ مِائةُ عامٍ ، وشاءَ اللَّهُ - سُبحانَه وتَعالَى - أن يَسْتَيقِظَ عُزَيْر ، فتحوَّلَ من تُرابٍ إلَى عِظامٍ ثُمَّ كساهُ باللَّحمِ والجِلد ، لِيَنهضَ جالِسًا في مَكانِه ، فتذكَّرَ أنَّه كانَ عائدًا من الحَديقَةِ فنامَ هُنا ، فَنَظرَ إلَى الشَّمسِ وكانتْ تَميلُ إلى الغُروب فتذكَّر أنَّه جاءَ هَذا المكانَ عِندَ الظَّهيرَة . . فَركَ عَينَيه . . فسألَه اللَّهُ - سُبحانَه وتَعالى - : كم لَبِثْت ؟

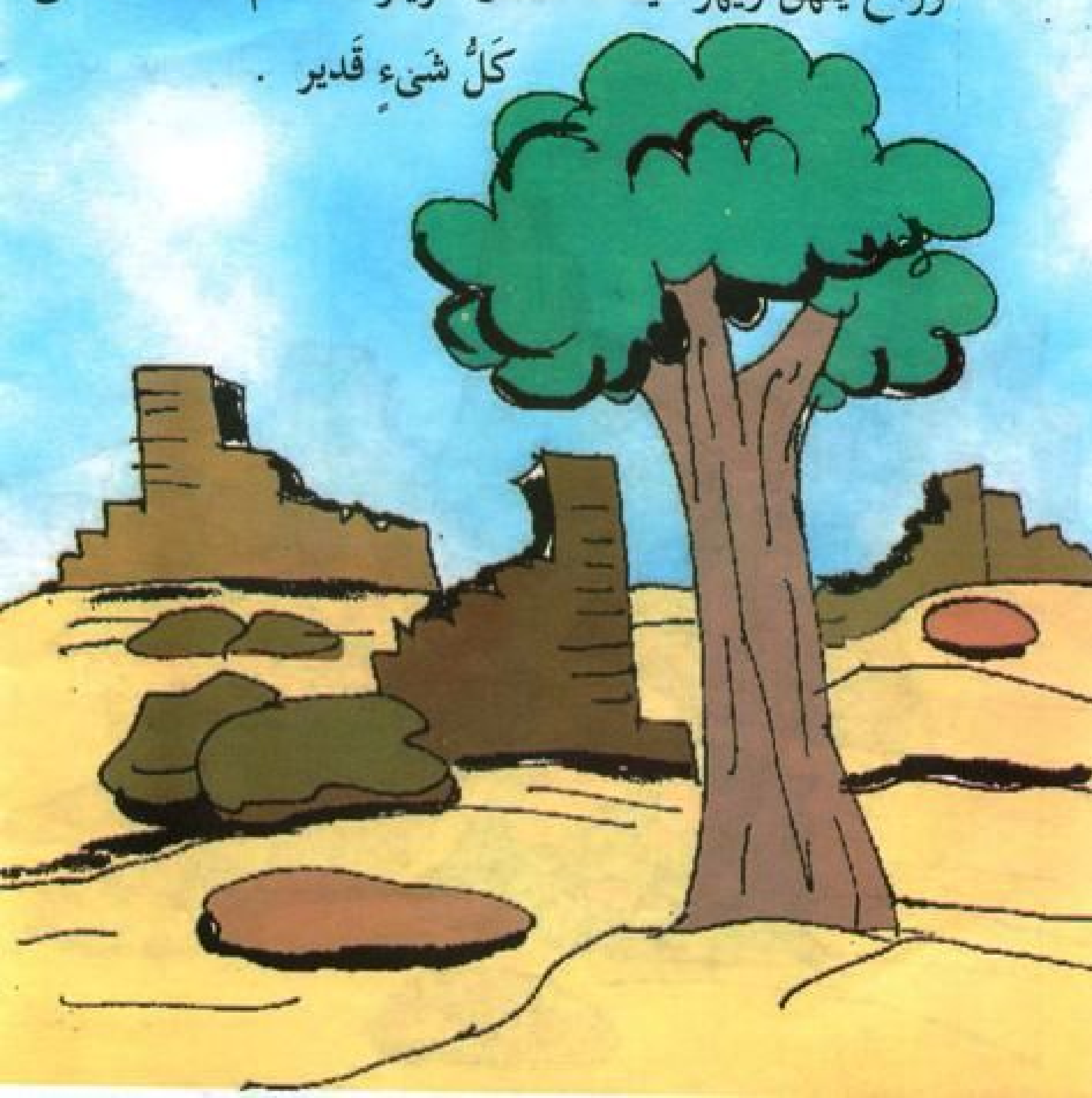
قَال عُزَير : لَبِثتُ يَومًا أو بَعضَ يَوم ؟



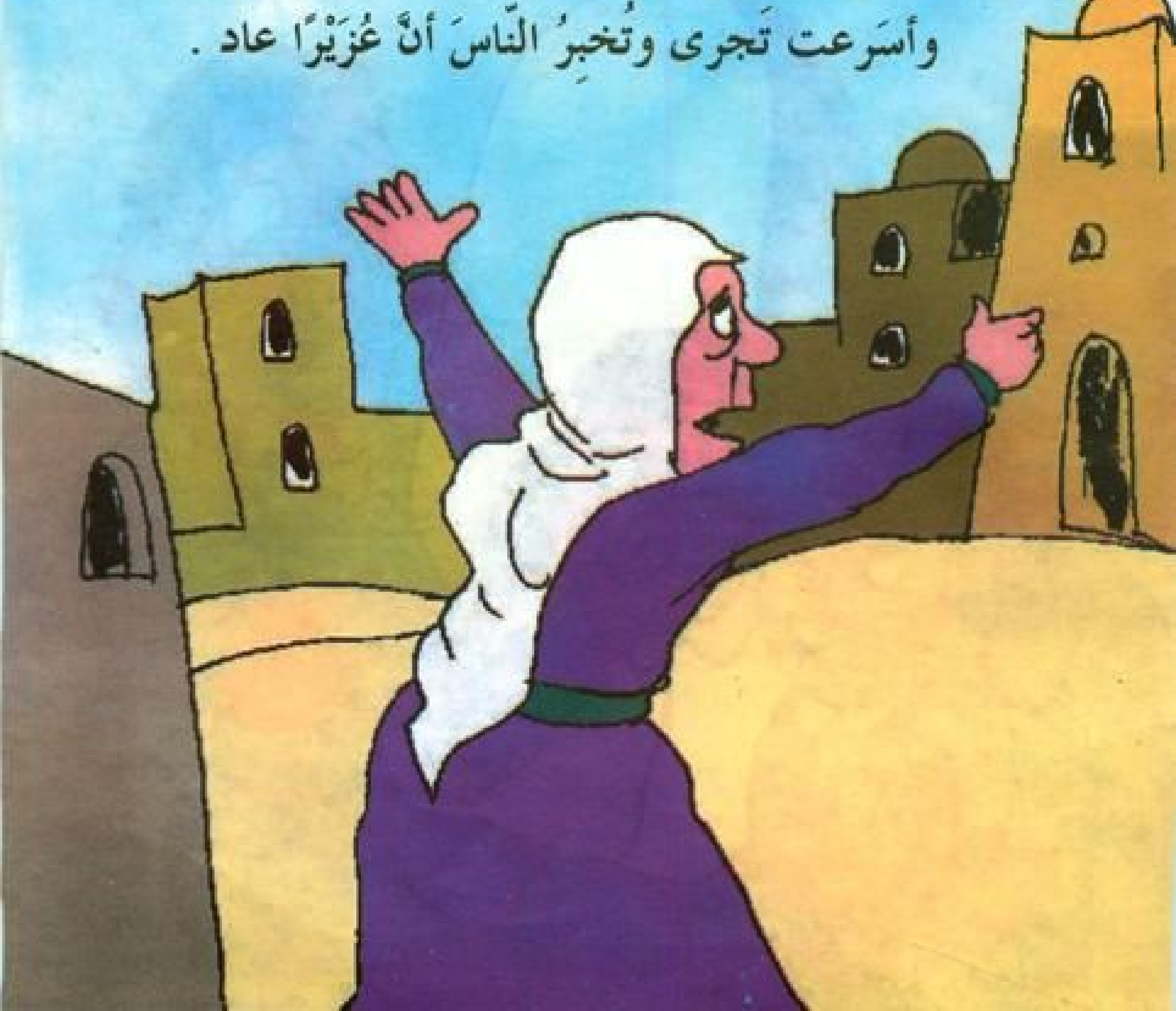
(١٢) قالَ ـ سُبحانَه وتعالَى ـ : بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عام ، فانْظُر إلَى طَعامِكَ وشَرابكَ لَم يَتَغَيَّر . . نَظر عُزَيْرٌ في دَهشَةٍ إلَى التّينِ والعِنَبِ والخُبزِ فَوجدَ كلَّ شَيءٍ كما هو لم يَتغَيَّر . . سألَ نَفسَه : كيفَ تَمُرُّ مِائَةُ عامٍ والطَّعامُ كما هو طازَج ؟ فقالَ سُبحانَه وتَعالى : وانظُر إلَى حمارِك . ونَظر عُزَيرٌ فلم يجِد غيرَ تُرابٍ وعِظام .



(١٣) وبأمرِ اللّـهِ سُبحانَه وتَعالى ، تكوَّنت عِظامُ الحِمارِ بسُرعة . وراحَ اللَّحمُ يَكْسو العِظام ، وعُزَيرٌ يرَى ذلك بعَينيه ، ثم الجلدُ يَكسُو اللَّحْم العِظام ، فتكوَّنَ شكلُ الحِمار ، وبإذن اللهِ عادت روحُ الحِمارِ إليَه ، فَنهض واقِفًا ، وراحَ يَنهقُ ويَهزُّ ذَيلَه . فقالَ عُزيْرٌ : أعلَم أنَّ اللّـهَ علَى كَلُّ شَيْءٍ قَدير .



(١٤) ركِبَ عُزيْرٌ حِمارَه ، وعادَ إلى قريَتِـه . . فلمّا دخلَ القَريةَ وَجدَها تَغيَّرتْ فلـم يَعرفْ أحَدا ، حتّى عثر على خادمَتِه التّى تركَها فى العشرينَ فأصبَح عمرهـا الآنَ ١٢٠ عاما ، فسألَها عن عُزَير ، فقالَت باكِيَة : خرج من مائةِ عامٍ ولم يَعُد . . فعرَّفها بنَفسِه . فقالَتِ المَـرأةُ وهى لا تُصدِّقُه : ادعُ اللّهَ لى أنْ يرُدَّ بَصرى لأَراك . ودعا عُزَيرٌ أن تُبصِـرَ ، فردَّ اللّهُ إليها بَصَرها ، فلمّا رأتْـه عرَفَت أنّـهُ حقًّا عُزَير ، وأسرَعت تَجرى وتُخبرُ النّاسَ أنَّ عُزَيْرًا عاد .



(١٥) هكذاً يا أبْنائى فإنَّ اللَّهَ وَحدَهُ الَّـذى يُقـدِّمُ ويُؤخّـر ، لا أحَدَ سِواه . . إنَّ اسمَ المُقدِّمِ هو الَّذى يُعطى مَعنًى للزَّمَن ، فاللَّهُ ـ سُبحانَه وتعالَى ـ لَوْ لَمْ يُقدِّم أشْياءَ علَى أشْياءَ ، مـا عَرَفنا لِلزَّمن مَعْنًى ، ولا عَرَفنا لِلزَّمَنِ قِياسا .

